

إشكاليات الترجمة في النصوص النقدية

د. سليمة عذاوري

جامعة بومرداس

"من المؤسف حقا أن سكان كوكبنا لا يتكلمون لغة واحدة"

جورج مونان

إن المجازفة التي ندفعها كثمن لرغبة الترجمة تجعل من لقاء الأجنبي داخل لغته محنة يصعب تجاوزها

بول ريكور

ملخص البحث:

لا ترتبط حياة الأمم بما تؤسسه من قيم معرفية خاصة فحسب، بل بما تستغله من إمكانيات الأمم الأخرى، التي قد تتحول ضمن سياقات الثقافة المستقبلية إلى قيم معرفية تخدم عناصر هذه الثقافة وترشد عوامل ازدهارها. وحتى يحدث هذا الانتقال، ويؤسس لبعد تفاعلي حضاري وثقافي واسع، كان لا بد على الترجمة باعتبارها عاملا رئيسيا من عوامل الانتقال، أن تلعب الدور الفعال في هذا المقام. وبالرغم من تعارض الآراء حول الحاجة إلى الترجمة بين مؤيد ومعارض، وللترجمة خصوصيات، وإشكاليات، وصعوبات،...، وهي قضايا نتطرق إليها في بحثنا هذا.

Résumé :

Cette étude dépasse le cadre théorique à l'application, elle s'est penché sur la traduction comme une des plus importantes problématiques issues de la réception de la théorie occidentale. En dépit de son objectif positif supposé, cette dernière ne cesse de se présenter comme un défi dans le processus de la réception, ce qui se manifeste dans sa sélection des textes, son écart par rapport au temps des productions originales, et sa reproduction de contresens, sans oublier la traduction partielle qui donne une matière théorique incomplète, défigurant souvent les données occidentales, ce qui est, de notre point de vue, encore plus grave, car il s'agit bien de **la notion**. L'étude a choisi deux modèles de lecture qui englobent ces problématiques, il s'agit des traductions fournies pour les livres de Julia Kristeva et Natalie Piegay Gos.

باتت الحاجة إلى الترجمة ضرورة ملحة بالنظر إلى عدد اللغات الموجودة عالميا ما يجعلها خيارا

لا غنى عنه جعل التخاذل عنها "يعني بالضرورة تخلفا أو تقاعسا على صعيد التواصل الثقافي"¹

ولئن كان هذا وضع ثقافيا ومعرفيا عاما، فإن ميادين الأدب والنقد لم تشذ عن قاعدة الحاجة

إلى مثل هذه التقاطعات الحضارية، بل وشكلت جزءا هاما من هذه العملية التي انتقلت من خلالها

الثقافات نحو بعضها البعض. ولم تكن الحضارة العربية بمنأى عن هذه العملية التفاعلية قديما أو حديثا،

فمن ترجمة الإغريق والفرس إلى ترجمة الآداب العالمية، تُشكّل منظومة علائقية خاصة داخل الثقافة المستقبلية وتغيرت معالم الطريقة التي ينظر بها العربي إلى ذاته وإلى غيره.

تتعدّى الحاجة إلى الترجمة الأدبية النصوص الأدبية في حد ذاتها إلى النصوص القارئة لها، ونقول القارئة هنا، حتى يشمل هذا الوصف مختلف النصوص التي تماسّت بشكل أو بآخر مع الأدب، نقداً أو تنظيراً. وليس هذا مقام البحث عن تاريخية العلاقة بين النقد الغربي والنقد العربي، غير أننا نؤكد على الدور الذي لعبته -وما تزال- الترجمة في هذا المقام، حيث تجاوزت حالة التعارف والتفاعل بين الثقافتين إلى نوع من "التبعية النقدية" عن طريق ما تقترحه هذه الكتب من إجراءات وآليات منهجية لمقاربة النصوص الأدبية، التي يقوم النقد العربي إما بتلقيها والعمل بها كما هي، أو إعادة إنتاجها وفق رؤى وتصورات خاصة.

01. الترجمة النقدية، ترجمة متخصصة:

يقول جورج مونا (Georges Mounin): "لكي نترجم نصاً كتب بلغة أجنبية يجب التأكد من وجود شرطين اثنين وليس شرطاً واحداً. وهما شرطان ضروريان لا يغني أحدهما عن الآخر: 1- معرفة اللغة، 2- ومعرفة الحضارة التي تتحدث عنها هذه اللغة"² ومن ثمة، ليست الترجمة نقلاً لغوياً فحسب بل عملية معقدة تلعب فيها الوسائط اللغوية دوراً مهماً يظل جزئياً إذا ما قورن بما يتم نقله من مضمّنات ثقافية وعلمية، وهو ما يجعلنا نتجاوز، والحال هذه، الحاجة إلى ناقل لغوي، نحو الحاجة إلى ناقل قادر على نقل المعرفة، ويزداد الإصرار على تحقيق هذه الشرطية، كلما زادت النصوص المنقولة دقة.

حالياً، تعتبر الترجمة رافداً أساسياً من روافد الانتقال النقدي الغربي نحو العالم العربي. وإذا كان النقاد -في كثير من الأحيان- يعتمدون على قراءات للأعمال النقدية في لغاتها الأصل، إلا أنه لا أحد يمكن أن ينفي السهولة التي يمكن أن توفرها الترجمة -نظرياً- من حيث الاكتساب النقدي، غير أن هذا الحقل الذي يوفر المعرفة النقدية يُسر، يعاني من معوقات وإشكاليات قد تصل حد الخطورة في بعض الأحيان، وهو ما جعلنا نطرح هذا الموضوع بصيغته الحالية، وتجاوز كونه صيغة من صيغ "الثاقف" إلى كونه إشكالية عملية.

لا يمكننا في هذا المقام سوى تقديم دراسة تعتمد على العينة، وقد وقع اختيارنا على كتابين هامين في مسار الدراسات النقدية سواء في أصلهما الغربي أو في الثقافة المستقبلية، ونقصد بذلك كتاب "علم النص" الذي ترجمه فريد الزاهي، وكتاب "مدخل إلى التناص" لترجمته عبد الحميد بورايو. ورغم الاختلاف بين طبيعة الكتابين واختلاف تواريخ صدورهما، إلا أننا نؤثر تقديمهما من خلال التحديات التي تواجه العملية الترجمة في حد ذاتها، خاصة بالنظر إلى الفارق الزمني بين الترجمتين، والذي يقدم بين أيدينا دليلاً آخر على صعوبة هذه العملية رغم مرور الزمن وتكرس الممارسة.

إشكالية تأخر الترجمات النقدية العربية عن الأصول:

يُشكّل العامل الزمني حلقة مهمة من حلقات المعرفة، ذلك أنه العنصر الذي يشتمل على سياقات التمثيل المعرفي لمعطى ما، مهما كان نوعه، كما أنه المحور الذي تتضمن حوله معطيات أي علم أو نظرية ما. ومن ثمة، وجب احترام هذا العنصر أثناء عملية النقل، إذ أن تأخر هذا الانتقال سيمنع عن مواكبة السياق المعرفي العام. ففي الوقت الذي تكون فيه المادة النقدية قد استهلكت في ثقافتها وتم تجاوزها إلى سياقات معرفية ونقدية أخرى، والأدهى أحيانا تم نقدها، يشرع المتلقي العربي في استخدامها بعد انتشار ترجمتها، ما يخلق نوعا غريبا من التعامل مع المادة المعرفية التي قد تكون "صلاحيتها" قد انتهت³ في سياقاتها الأصلية.

يبدو الفارق الزمني بين النص المترجم والنص الأصلي طبيعيا، إذا ما توافقت شروط عملية النقل في حد ذاتها، غير أن بعد الهوة الذي تعاني منه الترجمات العربية تجاوز الفارق الطبيعي وشكل ظاهرة تسيء للعملية النقدية برمتها باعتباره يقدم معرفة متأخرة للقارئ العربي تكاد تجعل المعرفة المقدمة غير مجدية إذا ما قورنت بتطور الأصول. وعليه، تصير المواكبة، الزمنية والمعرفية، وتقضي كل جديد ومفيد ضرورة ملحة، وهو ما يعني تجاوز الجهد الفردي والمصادفات القرائية التي تنبني عليها عملية الترجمة النقدية حاليا. وبكفيينا في هذا المقام أن النصوص التي ارتأينا بسط هذه العوامل من خلالها قد ابتعدت عن أصولها بعقود، حيث أن نصوص كرسيتفا التي كتبت في ستينيات القرن الماضي، تمت ترجمة "بعضها" عام 1991، في حين صدر كتاب *Introduction à l'intertextualité* الذي ألفته نتالي بيغي غروس *Nathalie Piégay-Gros* للمرة الأولى عام 1996، عن دار *Dunod* في باريس والذي يعتبر كتابا هاما يحوصل المسار التاريخي والمفهومي الذي قطعته نظرية التناص، كان علينا أن ننتظر ستة عشر عاما ليتقدم الكتاب بين يدي القارئ العربي باللغة العربية بعد الجهد الخاص الذي بذله عبد الحميد بورايو في هذا الصدد. وحري بنا أن نتساءل لا عن جدوى هذه الترجمات المتأخرة، إذا ما اخذنا بعين الاعتبار ما تقدمه للقارئ العربي، بل عن الأسباب التي تدعو إلى مثل هذا التأخر بما في ذلك الدور الذي تلعبه دور النشر.

02. صعوبات التعامل مع المادة المعرفية والنقدية:

كثيرا ما تطرح الترجمة إشكاليات عديدة منذ مبادئها الأولى عن إمكانية أو لا إمكانية الترجمة في حد ذاتها، إلى البحث عن المترجم المتخصص. ولا بد أن هذا الإشكال يأخذ بعدا أوسع في سياق النقد، نظرا لطبيعة المادة التي يتم نقلها، والتي ترتبط ارتباطا وثيقا بمادة معرفية معقدة قد تتجاوز إمكانيات المترجم العارف للغة فحسب إلى الناقل العارف للموضوع، حيث أن النصوص النقدية ترتبط أيا ارتباطا بمادة معرفية وإنسانية مكثفة تجعل عملية فهمها نقطة مفصلية في عملية النقل، وتشكل واحدة من صعوباتها الجوهرية، قد تصل حد المغامرة أحيانا. يقول فريد الزاهي مبررا أسباب ترجمته لنصوص كرسيتفا وصعوبة ذلك:

من هذا التعدد أيضا تنبع صعوبة ترجمة كتابات كرسطيفيا لأن تداخلا معرفيا مركبا من هذا القبيل لا يطال المستوى النظري والإجرائي بمفرده بل يتغلغل داخل التركيب اللغوي للاصطلاحات التي تتعامل بها الباحثة مع النص الأدبي. ولعل ذلك ما يبرر التعامل الذي يسود باحثينا معها، إذ يتم الاكتفاء بالإحالة، ويغض الطرف عن إمكانية ترجمة نصوصها إلى العربية⁴⁻⁵

لقد جعلت مثل هذه الصعوبات مترجما قديرا ومتخصصا مثل فريد الزاهي يعزف عن ترجمة كل المقالات الواردة في كتاب جوليا كرسيتفا ويكتفي ببعضها مغفلا مقالات مهمة شملها الكتاب ذاته، تمثل المسار الذي قطعتة الناقدة، ويمكن من خلالها استيعاب المهاد النظري لها، ونقصد بذلك المقالات التالية:

- **Le geste pratique en communication**⁶
- **Le mot le dialogue et le roman**⁷
- **Pour des paragrammes pour une semiologie**⁸

إن هذا الإغفال، يمنع قارئ اللغة العربية من استيعابه نظرا للطابع الجزئي الذي تتخذه هذه الترجمة، وهو طابع يتجاوز تعامل فريد الزاهي مع أعمال الناقدة إلى أعمال أخرى كثيرة اكتفى فيها المترجمون بترجمة أعمال نقدية هامة ترجمة جزئية، يجعل المتلقي أمام فراغ معرفي ونقدي كبير لا يمكن ترميمه إذا ما كان فاقدا للغة الأصل. وبذا، تكون الترجمة قد خلقت ثغرة معرفية خطيرة حيث كان الأجدر بها أن تحل إشكالا معرفيا. ولا أدل على ذلك من أن بعض النقاد والقراء يعتبرون عمل فريد الزاهي الذي انتخب فيه مجموع مقالات كتابا كاملا لجوليا كرسيتفا:

"وكان كتابها النقدي "علم النص" من انضج كتبها التي الفتته ي مراحل متقدمة من اكتمال من منجزها النقدي"⁹

وهو خطأ معرفي كبير، خاصة إذا ما علمنا أنه لا يوجد في رصيد جوليا كرسيتفا كتاب يحمل هذا العنوان، وهو ما يقودنا نحو التساؤل عما إذا كان يعاب على الناقدة؟ أم على المترجم؟ أم على طبيعة العملية المعقدة برمتها؟

إن الصعوبة وتضافر علوم وميادين معرفية كثيرة تدفع الناقد إلى الحاجة إلى هوامش عدة يتم من خلالها شرح تفاصيل بعض الخيارات المصطلحية أو الترجمة¹⁰، وهو ما يدل على عدم قدرة القارئ العربي على استيعاب هذه المعارف بسبب الفراغات الترجمة للعلوم والميادين المصاحبة، ناهيك عن صعوبة التعامل مع الهامش الأصلي عندما يتعلق الأمر ببعض النصوص المرجعية، وهو ما سنعود إليه أثناء الحديث عن التحدي الذي يواجهه مترجم النصوص النقدية أثناء التعامل مع النصوص الأدبية الواردة في المتن بوصفها استشهادات أو متون تطبيقية.

تتجاوز صعوبة الفهم عامل الكثافة المعرفية، إلى طبيعة الصيغ الناقلة، والتي تقف أحيانا عائقا أمام المترجم والقارئ على حد سواء، حيث أن بعض المقاطع تشكل صعوبة أثناء عملية النقل ما يؤدي بالقارئ إلى تحريف الفهم. وهو ما قد يواجه الناقل باعتباره قارئا أيضا، ويكفي في هذا المقام أن نقف على بعض من هذه الصعوبات النابعة من اللغة:

- قد يغيب المعنى في النص المترجم، وهو أصعب ما تواجهه العملية الترجمة برمتها، خاصة أن النص النقدي يفقد المعرفة التي يقدمها فعاليتها في هذه الحالة، وهو ما يمكن أن نلاحظه في المثال التالي:

تقول نتالي بيني غروس:

« la parodie et le pastiche sont les deux grands types de relation de dérivation qui unissent un texte à un autre ; la première repose sur une transformation et la seconde sur une imitation de l'hypotexte »¹¹

يتحول هذا النص تحولا جذريا في النص المترجم، وهو تحول لا يمس بنيته التركيبية وصياغته بل بنيته المفاهيمية، ويقدم تصورا خاطئا لمتلقي المادة النقدية، حيث نقل المترجم النص على النحو التالي:

« المحاكاة الساخرة [الباروديا] والمعارضة هما الصنفان الكبيران لعلاقة الاشتقاق التي

توحد نصا بآخر، يعتمد الأول على تحويل للثاني بمحاكاة السابق»¹²

وتكفي مقارنة بسيطة بين هذين المقطعين، لإدراك التغير الكبير الذي لحق المعنى.

- تلعب علامات الوقف في النصوص الفرنسية، دورا مفهوما واضحا، بينما يصعب

نقل هذا الدور في مساحة النصوص المترجمة، كما هو الحال في هذا المثال:

« aussi voit- on de nos jours le texte devenir le terrain ou se joue : se pratique et se presente, le remaniement épistémologique social et politique »¹³

« هكذا نشهد، في أيامنا هذه، تحول النص إلى مجال يلعب فيه ويمارس ويتمثل التحويل

الابستمولوجي والاجتماعي والسياسي»¹⁴

وهو ما يجعل المترجم يعتمد في بعض الأحيان على تحويل جذري للعلامة الوقفية إلى كلمات، كما في المثال التالي:

« elles essaient de saisir a travers la langue ce qui est étranger à ses habitudes et dérange son conformisme: le texte et sa science, pour les intégrer à la construction d une gnoséologie matérialiste »¹⁵

حيث تم تحويل النقطتين في النص الفرنسي إلى كلمة «أعني»:

«أعني الامساك بالنص وعلمه، بهدف إدماجهما في بناء نظرية معرفة مادية»¹⁶

- تندرج ضمن التحديات التي تواجه عملية الترجمة النقدية، صعوبة نقل المصطلحات،

وهي وإن كانت على المستوى النظري تتجاوز -باعتبارها تحديا- المترجم إلى

الواضع في حد ذاته، إلا أنها تتخذ في حال الترجمة صعوبة مضاعفة، يقول جورج موناك مؤكدا هذه الصعوبة:

ليست مسألة الاصطلاحات مما يختص بالترجمة وحدها، إنها مشكلة الواضع قبل أن تكون مشكلة المترجم. فقبل أن يقف المترجم في أي كلمة يختار في مقابل هذا الاصطلاح الأجنبي أو ذاك [...] وربما كان هذا الموقف الأخير من المواقف الشديدة الصعوبة والقليلة الحظ من الدراسة، وإذا كان للمترجم أن يستعين بسواه عن اختيار المقابل المناسب استنادا إلى تحديد واضح للاصطلاح في لغته الأصلية فإن الواضع لا ينطلق إلا من تحديد بل من صورة غير واضحة الحدود ي معظم الأحيان¹⁷

تتجاوز الصعوبات المصطلحية حدود العمل الذي نقدمه، غير أنها تستغرق أنواعا كثيرة من الصعوبات والإشكاليات التي تنطوي تحتها، نذكر منها الخيارات المصطلحية للمترجم، وكذا صعوبة بعض الاختيارات التي يحاول من خلالها إعطاء طابع خاص أو تجاوز مشكلة ما كما نراه في الأمثلة التالية:

- التصحيفات¹⁸ Anagrammes

- ترسمل¹⁹ capitalisant

- الهرمنوسية²⁰ hermeneutique

كما نسجل هنا، من التحديات الاصطلاحية تحويل المصطلح الواحد في النص الأصل إلى مركب كقوله نظرية معرفة مادية مقابلا لـ gnéoséologie وهو ما يمكن اعتباره جهدا لغويا ومعرفيا مهما لا يؤدي المطلوب منه بيسر.

• بعيدا عن قدرة المترجم على التغيير وفق ما يناسب صياغة اللغة الناقلة، يتم أحيانا

تغيب بعض المفردات، كما في تغيب actuellement الذي قد يؤثر إذا ما علمنا دور السياق في فهم النظريات وبنياتها العلمية، يقول فريد الزاهي:

"بما ان السيميائيات ليست فقط خطابا فإنها تتخذ، كموضوع لها، ممارسات سيميائية عديدة تعتبرها عبر لسانية، أي متكونة من خلال اللسان لكن غير قابلة لان تختزل في المقولات التي تلتصق به ي ايامنا هذه"²¹

« plus qu'un discours, la sémiotique se donne actuellement pour objet plusieurs pratiques sémiotiques qu'elle considère comme translinguistiques, c'est-à-dire faites à travers la langue et irréductibles aux catégories qui lui sont, de nos jours, assignées »²²

• تطرح التعاريف المتعلقة ببعض المفاهيم الجوهرية إشكالا مهما بالنظر إلى أهميتها في المجال النقدي ومن ثمة وجب أن تكون واضحة كل الوضوح، وهو حال تعريف التناسق هنا:

إنه ترحال للنصوص، وتداخل نصي، ففي فضاء نص معين تتقاطع وتتنافى ملفوظات عديدة مقتطعة من نصوص أخرى"²³

يقابلها الجملة التالية التي ترجمة ترجمات عديدة تقول كرسيتفا

« il est une permutation de textes, une intertextualité : dans l'espace d'un texte plusieurs énoncés pris à d'autres textes, se croisent et se neutralisent »²⁴

ولا نعيب هنا التعريف الذي يقدمه فريد الزاهي إلا أننا نشير إلى صعوبته داخل اللغة المتلقية، حيث تصبح اللغة الناقلة هنا عاجزة عن أداء المعنى، إذ وجب التدقيق في اختيار الكلمات التي تناسب المعنى أكثر، ذلك أن كلمة مثل "ترحال" هنا لا تؤدي ما هو مطلوب منها في التعريف، وليست الاختيار الأفضل، كما أن كلمة "تداخل نصي" تبدو وصفا عاديا لا ينتبه له المتلقي رغم أنه الكلمة المفتاحية داخل هذا التعريف تتجاوز كونها كلمة مدججة فيه إلى كونها مصطلحا أساسيا.

03. صعوبة التعامل مع المقاطع الأدبية:

تتعدد الصعوبات التي يواجهها الناقد أثناء عملية الاشتغال الترجمي على النصوص النقدية، يمكن أن تكون الترجمة الأدبية جزءا منها، ونقصد بالترجمة الأدبية هنا، تلك التي تتعلق بترجمة المقاطع الأدبية الواردة داخل المتون النقدية، والتي كثيرا ما تمثل جزءا مهما من المادة النقدية.

لقد لاحظنا سلفا العبء الذي يشكله المصطلح على الناقد والمترجم على حد سواء، بيد أن مشكلة المقاطع الأدبية مشكلة تواجه المترجم العربي فحسب، مادام الناقد يعتمد على تلك النصوص دون بذل جهد آخر فيها عدا جهده القرائي النقدي بالنظر إلى كونها نصوصا جاهزة سواء كانت في لغتها الأصلية أو مترجمة إلى لغة اشتغاله من لغات أخرى.

إن التحدي هنا كبير وصعب، بالنظر إلى صعوبة الترجمة الأدبية وحاجتها إلى جهد قد يعيق عملية الترجمة النقدية في حد ذاتها. ففي النصوص التي تم اعتمادها أنموذجا عمليا لهذه التعقيدات، يقع فريد الزاهي وعبد الحميد بورايو أمام هذا التحدي بشكل مستمر. وخارج الصعوبات النقدية السابقة، يواجهان ترجمة للعديد من النصوص التي وردت في المتون، على اختلاف أصولها، حتى وإن كانت تصديرات²⁵ كنيثشه/ ملارميه/ لينين/ ليبنتز/ روسيل كما نجده عند جوليا كرسيتفا بوفرة.

لربما علينا أن نتساءل في هذا المقام، عن الضرورة التي تضع المترجم (الناقد) في أحيان كثيرة أمام هذه الصعوبة، طالما أنها قد لا تكون مجدية على مستوى العملية النقدية في حد ذاتها، بالنظر إلى كون الأنظمة الأدبية مختلفة في حد ذاتها²⁶ وهو ما يجب أخذه بعين الاعتبار أثناء عملية الترجمة وكذا أثناء التطبيق. فمن المعروف أن الشعر يطرح مشكلة خطيرة تتمثل في الاتحاد الذي لا انفصام له بين المعنى والصوت وبين الدال والمدلول²⁷، كما أن الناقد الأصلي يجد النصوص جاهزة فلا جهد له فيها عدا اختيار المقاطع التي يشتغل عليها وفق رؤيته النقدية أو مهنجه البحثي بينما سيواجه

المترجم كل هذه الأعمال، إضافة إلى أن ترجمة كل النصوص الأدبية المبثوثة في ثنايا المتن تحول كل الأساليب المختلفة لعصور أدبية وتيارات وانتماءات إلى لغة واحدة وأسلوب واحد، والمؤكد أن المترجم سيكون همه الأول ترجمة النصوص النقدية لا المقاطع الأدبية ولذلك كثيرا ما تفقد طراوتها أو أدبيتها أثناء عملية النقل.

إن الاشتغالات النقدية عادة ما تكون لصيقة بالنظام اللغوي في حد ذاته بالنظر إلى السياقات المعرفية التي انبثقت منها المناهج النقدية المعاصرة التي اخترنا نماذجنا منها، ومن ثمة لا يمكن الفصل أحيانا بين الطابع اللغوي المميز للغة ما والنتائج المترتبة عنها، فينبغي المحافظة عليها في كثير من الأحيان، فبالإضافة إلى إشكالية الشعر السابقة، تطرح النصوص الأدبية من هذا الباب مشكلا آخر يظهر "على مستوى التقطيع ذاته للحقول الدلالية التي تبين أنه من العسير المطابقة الدقيقة بين لغة وأخرى"²⁸ وسنحاول في هذا المقام أن نبين ذلك عبر مثالين مختلفين:

01. يقول فريد الزاهي في ترجمته:

"بهذا الشكل يمكننا تأويل المقطع: إعطاء المشتى النيسي (نسبة لمدينة نيس الفرنسية) معطفا التي

تبدو ملخصة للصيغة الدلالية لعطاء المحتمل التالي:

يعني أن نمنح: -للتوتى المبتدئ في البحر عرق الذهب

بينما لتهشيمها يصيخ الإعصار السمع

حين يحضر المحاضر لسامعيه حشاشا،

-لن خارج قطار سيار يطل

مروحة...

يملك الخطاب ذو الفعل المحتمل فاعلا أساسيا، إنه "مثل" وهي أداة تشبيه استبدالية تمكن من اخذ الوحدات الدلالية الأكثر تنافرا الواحد مأخذ الآخر:

كما لو أن سحرا كان يختار اللحظة المناسبة [...] ²⁹

يتقدم النص الأصلي على النحو التالي:

On pourrait interpréter ainsi la séquence « à l'hiverneur niçois donner un pardessus » qui semble résumer la formule sémantique de la donation de vraisemblable :

C est donner : -au novice, en mer, de l'ipéca,

Tandis qu' à la briser l'ouragon tent l'écoute ;

Quand un conférencier prélude, à qui l'écoute,

Un narcotique ; -à qui hors d'un train bon marcheur

Se penche, un éventail ;...

Le discours vraisemblabilisant a un opérateur fondamental : « comme » -

préposition substitutive qui fait prendre l'un pour l'autre les sémèmes les plus incompatibles :

Comme si choisissant la seconde opportune... »³⁰

إن المتأمل لهذين المقطعين يدرك لا محالة العبء الذي يقع على كاهل المترجم في مثل هذه الحالات، وبغض النظر عن طبيعة الترجمة والحكم عليها، يظهر هذا المقطع جليا صعوبة ترجمة النصوص الأدبية، وما يؤول إليه حال النص بالنظر إلى هذه الصعوبة. إننا لا نكاد نشعر بالمعنى في النص المترجم، غير أن ذلك ليس مما نعييه على المترجم بل ما نضيفه كنقطة سوداء في طريق الترجمة النقدية، بالنظر لكون هذه النصوص تقع في الدرجة الثانية من حيث الأهمية والأولوية بالنسبة للمترجم.

تعتمد المقاطع الدلالية أيا اعتمادا على العامل اللغوي نظرا لما يلعبه هذا الأخير من دور في استخراج هذه المقاطع وتحليلات الخطاب، غير أننا سنقف في هذا المثال أمام ملاحظتين:

مدفوعا نحو الحفاظ على أدبية النص الشعري الأصل، يبدو أن الناقد لم يتوخ الحذر في التعامل مع النص الشارح، حيث أهمل أهمية اللفظة: مثل "comme" بحيث تم تغييرها في المتن دون تغييرها في هذا الأخير، وهو ما يصعب معه فهم الرابط الدلالي والدور الذي تلعبه كلمة غير موجودة في المتن، تكررت في النص الأصل بالشكل ذاته.

تلعب بعض التفاصيل الطباعية دورا هاما في تقديم المعنى غير أن المترجم العربي نادرا ما يأخذ تلك المعالم بعين الاعتبار أثناء عملية النقل فكلمة *substitutive* preposition وردت مطبوعة بشكل خاص *en italique* وهو ما يجعل حضورها مميزا، وله دلالة في النص الأصلي بينما فقد تلك الدلالة في النص المترجم.

يطرح التهميش بدوره، إشكالا مهما يتعلق بحالة النص المحال عليه، وجدوى تلك الإحالة بالنسبة للقارئ العربي، حيث تمت الإحالة في النص المترجم وفق الطريقة التي أحال بها النص الأصلي، على النحو التالي:

انطباعات عن افريقيا، ونحن نشير إليها ب: أ.إ. متبوعة بالصفحة ³¹
التي وردت في الأصل كما يلي:

Nouvelles impressions d'Afrique que nous indiquons N.I.A suivi de la page³²

إن السؤال الذي يتبادر إلى الذهن هنا، ونحن أمام نص نقدي لا أدبي، أعني أننا لا نقوم بترجمة نص أدبي كامل، بل مقطع ضمن نص نقدي عن جدوى هذا النوع من التهميش وفائدته بالنسبة للقارئ، ذلك أننا لن نجد النص بهذا الشكل رغم الإحالة عليه وهو ما يدفعنا إلى ضرورة البحث عن طرق أخرى للإحالة تظهر جدواها وفائدتها للمتلقى العربي.

02. يقدم عبد الحميد بورايو مقاربة أخرى للمقاطع الأدبية المبثوثة في حنايا النص النقدي

والتي فاق عددها المائة يتراوح طولها بين مقاطع لا تتعدى الأسطر الثلاث وتلك التي

تفوق الصفحة ³³

يعتمد عبد الحميد بورايو على مقاربات ثلاث في التعامل مع هذه النصوص. وإن كنا لا نعرف أسبابها غير أنها لا محالة تؤكد على طبيعة الصعوبة التي يجدها المترجم إزاءها.

يترجم عبد الحميد بورايو بعض المقاطع إلى العربية مباشرة، وإذا ما نظرنا في طبيعة النصوص التي خضعت لهذا النمط من الاشتغال نجد أنها نصوصاً نثرية بالدرجة الأولى رغم وجود حالات شعرية قليلة، بينما خضع الشعر لنمطين مختلفين من التعامل، ناهيك عن الحالة السابقة، تمثل الحالة الأولى إيراد النص كما يقدمه النص الأصلي، كما حدث مع المقاطع التالية على سبيل المثال ^{3 4}

Laforgue, L imitation de notre dame la Lune, 188

La Fontaine, les animaux malades de la peste, fables, 1678

Tristian Corbière, Les amours jaunes, 1873

بينما خضع جزء مهم أيضاً من المتون الشعرية الواردة في نص ناتالي ببيغي غروس، إلى عملية ترجمة تورد في هذه الحالة النص المترجم مقابل النص الأصلي جنباً إلى جنب على النحو التالي ^{3 5}:

Et des oranges d or dans le feuillage sombre	والبرتقالات المذهبة الداكنة الأوراق
Et des brises soufflant doucelement du ciel bleu,	ونسيمات بطيئة تهب من السماء
Du myrte silencieux et des hauts lauriers droits ?	من الريحان الساكت ومن الغار الباسق المستقيم
Oh, là-bas je voudrais,	آه إنني أقصد هناك
Là-bas, o mon amour m en aller avec toi.	إلى هناك، آه يا حي خذني معك

« La chanson de mignon »
Anthologie bilingue de la poésie
allemande, trd. De JP. Lefebvre,
Gallimard, 1993.

تتعدد المداخل التي يحاول من خلالها المترجمون، الوقوف في وجه هذا الإشكال الترجمي، وإن لنا في هذا المثال رداً على طريقة فريدة الزاهي التي تغفل النص الأصلي خاصة أن الشعر يخضع لعمل أقوى من النثر وهو مكمن صعوبته. فعبد الحميد بورايو يحل هنا إشكاليات ثلاث، واجهتنا آنفاً وهي أن يورد النص الأصلي فيحافظ على أصلية العمل ويترجمه وهو ما يمثل جهداً مضاعفاً بغية تقديم النص بلغة المتلقي ووفق استجاباته، كما يورد الإحالة في أصلها وهو ما يعتبر في هذه الحالة أكثر قرباً من طبيعة الإحالة.

قد نطرح هنا نقطة حساسة تتعلق بطبيعة اللغة في حد ذاتها، ونخص هنا اللغة الأدبية حيث أن اللغات تختلف ليس فقط في طريقتها في تقطيع الواقع كما يقول ريكور بل في إعادة تركيبه على

مستوى الخطاب^{3 6} وهو ما يوجب التعامل بجذر مع مثل هذه المقاطع نظرا لعلاقة المتون النقدية المعاصرة تحديدا بمفهوم الخطاب وأداءاته.

03. في الحاجة إلى تضافر الجهود:

يصف بول ريكور الترجمة أنها "محنة" بكل الحثيات التي صاحبها كتمارسة وكتنظير، غير أنها في السياق العربي تتحول إلى محنة أشد، ومعاناة أكثر قسوة، يعيشها المترجم ومتلقوه على حد سواء. بالنظر إلى حجم الإشكاليات التي تقف في طريقها.

إن الإشكاليات المبسطة آنفا، لا تُدين المترجم، بل تكشف "محتته" الشديدة، وتفترض أن ما علينا فعله لجعل هذه الترجمات لا تشكل حالة "رهاب" لا للمترجم ولا لمتلقيه ضمن سياقات معرفية كهذه، هو أن تتكاثف الجهود جميعها لتخفف من العبء عنه، نظرا لكونه المواجه الأول لتحديات معرفية ومصطلحية وأدبية ونشرية ولسانية إذا ما اعتبرنا الترجمة في حد ذاتها مبحثا لسانيا^{3 7} مهما تعددت ميادينه. وعن المتلقي باعتباره الحلقة الأخيرة والمهمة في مسار الترجمة. ومن ثمة، سيكون من الأجدر الابتعاد عن الانتقائية التي تغفل كما هائلا من النصوص التي قد تكون أساسية ومفصلية في فهم النص المترجم في حد ذاته، وهو ما ليس مطلباً يمكن أن نثقل به كاهل المترجم الواحد، بل هو دور منوط بالمؤسسات الثقافية والمخابر العلمية ودور النشر التي عليها أن تخرج من منطق الربح إلى منطق الفائدة، إضافة إلى الحاجة في النص الواحد إلى عالم المصطلح، وإلى مترجمي النصوص الأدبية، ومتخصصي الميادين الفكرية للصيقة بالنقد، بغية الوصول بالترجمة إلى لعب دور فعال في سياق التلاقي الثقافي.

الهوامش:

¹ عبده عبود، هجرة النصوص، منشورات اتحاد الكتاب العرب، 1995، ص15.

² جوروج موانان، علم اللغة والترجمة، تر: أحمد زكريا إبراهيم، مر: أحمد فؤاد عفيفي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط01: 2002، ص28.

³ إن انتهاء الصلاحية هنا، وصف مقصود يرمز للكثير من المادة النقدية التي دخلت الساحة النقدية العربية عبر وسائط الترجمة بعد وقت طويل كانت فيه هذه المادة قد تم الابتعاد عن استخدامها في أماكن نشأتها، ونقد الأسس التي انطلقت منها أو النتائج التي وصلت إليها، حتى وإن شذت بعض النصوص والتوجهات عن هذه القاعدة.

⁴ جوليا كرسيفا، علم النص، تر: فريد الزاهي، مر: عبد الجليل ناظم، دار توبقال، المغرب. ط2: 1997، ص07

⁵ جوليا كرسيفا، علم النص، ص07.

⁶ Julia Kristeva, Sémiotiké, recherche pour une sémanalyse, Seuil, 1969, p29.

⁷ Ibid, p82.

⁸ Ibid, p113

⁹ مشتاق عباس معن، تأصيل النص: قراءة في إيديولوجيا التناس، مركز عبادي للدراسات والنشر، صنعاء، ط2003: 01، ص23.

¹⁰ أنظر هوامش فريد الزاهي، ص12.

¹¹ Nathalie Piegay-Gros Voir Nathalie Piégay-Gros, Introduction à l'intertextualité, Nathan/VUEF, paris2002, p56.

¹² ناتالي بيبغي غروس، مدخل إلى التناص، تر: عبد الحميد بورايو، ص75.

¹³ Julia Kristeva : « Le texte et sa science », in Semeotiké, p18

¹⁴ فريد الزاهي، المرجع السابق، ص13.

¹⁵ Julia Kristeva, op cit, p28.

¹⁶ فريد الزاهي، المرجع السابق، ص20.

¹⁷ جورج موان، المرجع السابق، ص09.

¹⁸ فريد الزاهي، المرجع السابق، ص15.

¹⁹ المرجع نفسه، ص16.

²⁰ المرجع نفسه، ص71.

²¹ المرجع نفسه، ص21.

²² Julia Kristeva, op cit, p52.

²³ فريد الزاهي، المرجع السابق، الصفحة نفسها.

²⁴ Julia Kristeva, op cit, p52.

²⁵ التصدير حسب المفهوم الذي قدمه جنيت هو النصوص التي توضع على رأس الفصول أو العناوين وتكون مبتورة عن المتن ومعروفة بالإحالة، وهي جزء من العلامات التي تحيط بالنص.

²⁶ تحت عنوان "شعرية الأنظمة الأدبية يقدم لنا أندريه لوفيفر رؤية هامة حول طبيعة الأنظمة الأدبية، وعلاقتها بالترجمة، ينظر كتاب أندريه لوفيفر، الترجمة وإعادة الكتابة والتحكم في السمعة الأدبية، تر: فلاح رحيم، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط01: 2011، ص43.

²⁷ بول ريكور، عن الترجمة، تر: حسين خيري، الدار العربية للعلوم ناشرون/ الاختلاف، ط2008: 01، ص18.

²⁸ المرجع نفسه، ص18.

²⁹ جوليا كرستيفا، علم النص، ص52.

³⁰ Julia kristeva, op cit, p160

³¹ جوليا كرستيفا، المرجع السابق، الصفحة نفسها.

³² J . Kristeva, p160.

³³ ناتالي بيبغي غروس، مدخل إلى التناص، تر: عبد الحميد بورايو، دار نينوى/ سوريا، ط01: 2012.

³⁴ ورد هذا النوع من المقاطع في الصفحات التالية: 23 / 24 / 26 / 72 / 73 / 86.

³⁵ ورد هذا الاشتغال في الصفحات التالية من نص المترجم: 76 / 7779 / 80 / 81 / 82 / 84 / 106 / 132 / 143 / 145 / 148 / 149 / 150 / 151 / 171 / 200 / 201.

³⁶ بول ريكور، المرجع السابق، ص59.

³⁷ يقول جوروج مونان: "ونتكلم على الاصطلاحات الألسنية لان دراسة الترجمة هي كما قدمنا، دراسة ألسنية واصطلاحاتها بسبب ذلك اصطلاحات السنية، لان الألسنية حين تكونت احتاجت ككل علم جديد إلى اصطلاحات خاصة بها فاستحدثت كثيرا من الألفاظ وحول كثيرا غيرها عن مفهومه القديم فنتج عن ذلك تنوع شديد وتردد عظيم من شأنهما أن يمنعا غير المطلع من فهم العلماء، وان يحول أحيانا دون تفهم العلماء فيما بينهم تفاهما صحيحاً، أنظر الرجوع السابق، ص10.
